من ميامر الميلاد
للقديس ألعظيم مار أفرام

كل الأجيال تطلعت إليه...

هذا هو اليوم الذي أبهج الأنبياء والملوك والكهنة, ففيه تحققت كلماتهم وكملت نبواتهم, لأن العذراء قد ولدت اليوم عمانوئيل في بيت لحم !

ما نطق به إشعياء قديما, صار أليوم حقيقة, إذ ولد من يحصى عدد الأمم (إشعياء 19:10).

ما تغنى به داود في المزامير تحقق أليوم !

ما تحدث بـــه ميخا يوما ما, تمٌ اليوم فعلا, إنـــه يخرج مـــن أفراثا راعيا, عصاه تسوس النفوس (ميخا 2:5).

ما تنبأ به بلعام, وجد له تفسيرا !

لقد أتى إلينا النور السري, وظهر جماله بالجسد ! النور الذي تكلم في زكريا أضاء في ألخفاء, تحقق اليوم في وضوح !...

من آدم الرجل الذي لم يكن له أن يلد, خرجت أمنا حواء, فكم بالحرى يلزمنا أن نصدق ان إبنة حواء تلد طفلا بغير رجل !

الأرض البكر حملت آدم الأول الذي كان رأسا على كل الأرض, واليوم حملت العذراء البكر آدم الثاني الذي كان رأسا على كل السموات !

عصا هارون أفرخت, والعود اليابس أثمر, لقد إنكشف اليوم سرٌ هذا, لأن رحم البتول يحمل طفلا !

فليخجل ذلك الشعب الذي تطلع الى كلمات الأنبياء كوقائع حدثت (في أيامهم) لأنه لولا مجئ المخلص لبطلت أقوالهم !

مبارك هو الحق الواحد الذي أتى من أبي الحق, وحقق كلمات الناظرين الحقيقيين !...

من كنز بيتك, أيها الرب, من خزائن كتابك المقدس اخرج أسماء الأبرار القدامى الذين تطلعوا الى مجيئك !

ركزوا أنظارهم على ذاك الذي عوض **هابيل** سُفك دم الابن كقتيل, وبموته حطم الحسد الذي جلبه **قايين** الى العالم (تكوين 8:4) !...

الاخوان الاثنان اللذان غطيا نوح (تكوين 23:9) تطلعا الى الابن الوحيد الذي يأتي ويغطي عرى آدم الذي أسكرته الكبرياء !

سام ويافث المباركين, تطلعا الى الابن المبارك الذي يأتي ويحرر كنعان من عبودية الخطية !

ملكي صادق, إذ هو رمز للرب, توقع مجيئه, متطلعا الى كهنوت الرب الذي بزوفاه يطهـــر العالم (لاويين 52:14) !

لوط نظـــر كيف ان أهـل سدوم خالفوا الطبيعة, فتطلع الى طبيعة الــرب الذي يمنـح قداسة تفوق الطبيعة !

هارون إذ رأى ان عصاه أكـــلت الحيات, تطلع كيف يأكـــل صليب الرب الحية التي أكلت آدم وحواء !

موسى رأى الحية المرفوعة قد شفت عضات الأفاعي, فتطلع ليرى الرب الذي يشفي الجراحات التي سببتها الحية القديمة !
كالب الجاسوس حمل العنقود على عصاه (عدد 23:13), وجاء مشتاقا أن ينظر العنقود (المسيح) الذي خمره يعزى كل العالم !
يشوع بن نون إشتاق إليه, ليدرك قوة إسمه...يشوع هذا الذي جمع الثمرة وحملها وأحضرها معه, كان مشتاقا إلى (الحياة) ليذوق ألثمرة التي تنعش الجميع !
راحاب تطلعت إليه, لأنه عندما فداها ألخيط القرمزي من الغضب (يشوع 18:2) ذاقت الحق في الرمز !....
رآه موسى وإيليا الرجل الوديع من العمق صعد, والرجل ألغيور من العلو نزل, وفي الوسط رآيا الإبن !..
الآثنان رمزا الى مجيئه (الثاني), فموسى يرمز للأموات, وإيليا يرمز للأحياء الذين سيطيرون لملاقاته في مجيئه (1 تيسالونيكي 17:4). لأن الأموات الذين ذاقوا الموت جعلهم أولا, أما الباقون الذين لم يدفنوا, فسيرفعون أخيرا لملاقاته !
مـــن يستطيع أن يحصى لي الأبرار الذين تطلـــعوا الى الابن, الذين لا تستطيع أفواهنـــا (نحن المخلوقات الضعيفة) أن تعبر عن عددهم !
من له فصاحة لأن يسبح إبن الحق الذي أشرق لنا, هذا الذي إشتاق إليه الأبرار, أن يروه في جيلهم !
آدم تطلع عليه, إذ هو رب ألكاروبيم (حارس ألفردوس) وفي قدرته أن يوجد مدخلا, وموضعا للأقامة بواسطة أغصان شجرة الحياة !
هابيل إشتاق أن يراه, لعله يأتي في أيامه, فيرى حمل الله بدلا من الحمل الذي قدمه !
وحواء إليه تطلعت لأن عريها كان مراً, وهو قادر أن يغطيها, لا بأوراق الشجر, بل بنفس المجد الذي فقدته !
البرج الذي بناه كثيرون كان يتطلع في سرٍّ إلى (الواحد) الذي بمجيئه بنى على الأرض برجا يصعدنا الى السماء !
نعم إن **ألفلك** الذي حفظ المخلوقات ألحية, كرمز تطلع الى ربنا الذي يبني الكنيسة المقدسة التي فيها تجد النفوس لها ملجأ !...
الأرض التي غرقت بالطوفان صرخت في صمت الى ربها, فنزل وفتح المعمودية التي بها ينجذب البشر الى السماء !...
أقـــل مـــن (1000) سنة بقليل عاشها **متوشالح**, فتـطلع الى الأبن الذي يجعل البشر وارثين حياة لا تنتهي !....
النعمة ذاتها بسٌر خفي كانت تطلب لصالحهم, لعل الرب يأتي في زمانهم ويكمل نقائصهم, لأن ألروح القدس يشفع فيهم متأملا (رومية 26:8). هوآثارهم, وفيه تطلعوا إلى ذاك المخلص موضوع إشتياقهم (1بطرس 11:1) نفوس الأبرار أدركت في الأبن دواء ألحياة, لهذا شعرت بحنين أن يأتي في أيامها فتذوق حلاوته !...

لامك تطلع إليه أن يأتي لكي يمنحه في حب راحة من تعبه وجهاد يديه ومن الأرض التي لعنها الله العادل (تكوين 29:5) !...
نوح أيضا تاق أن يراه, لأنه ذاق طعم نعمته المخلصة. نعم, إن كان ألرم. فقط, (أي ألفلك) حفظ ألمخلوقات ألحية, فبالحق كم يمنح هو بذاته حياة للنفوس؟ !.. إن كان الرمز قد أنقذ الحياة, فكم بالحرى يكون شخصه الإلهي ؟ !...
إبراهيم أدرك بالروح أن ميلاد الأبن لا يزال بعيدا, لكنه تهلل أن يرى يومه بالروح دون أن يراه في ألجسد !...
إسحق إشتاق أن يراه, لأنه ذاق طعم خلاصه (عبرانيين 19:11) !...
لنسهر مع ألرعاة...
أليوم إبتهج الحراس, لأن الساهرجاء لإيقاظنا (دانيال 13:4).
من يستطيع أن ينام أللية ألتي كان فيها العالم كله ساهرا ؟ !
لقد جلب آدم النعاس على العالم بالخطية, لكن الساهر نزل لإيقاظنا من نوم الخطية العميق.
فلنسهر إذا, ولكن ليس كالمرابين الذين يسهرون أللية كله منهمكين في حساب أموالهم والربا..
واللص أيضا إذ يخبئ نومه تحت الأرض ويسهر ويقلق, وبقلقه يزعج كثيرين من ألنائمين..
والإنسان ألنهم, يسهر ويقلي, وسهره يسبب له آلاما...
والغنى (محب المال) يسهر إذ يطرد بغناه نومه, فيبقى ساهرا على خزائنه خائفا من اللصوص بينما كلبه ينام !....
والمهموم يسهر, لأن قلق نفسه يبتلع نومه, ومع أن ألموت يتعقبه حتى عند وسادته, لكنه لا ينام حاملا هموم السنوات المقبلة.
وإبليس أيضا يعلمنا أيها الأخوة أن نسهر, لكن سهرا من نوع أخر هو ألتراخي في الأعمال الصالحة مع السهر في الشر.
حتى يهوذا الإسخاريوطي سهر أللية كله, إذ باع الدم ألبرئ الذي أشترى ألعالم كله ! إبن ألظلام لبس ألظلمة وخلع عنه ألنور ! بالفضة باع أللص خالق ألفضة !.....
نعم, أن ألفريسيين أبناء ألظلمة سهروا الليل كـــله, الأشرار سهروا لعلهــم يحجبون ألنور غير ألمحصور !...
أما أنتــم فأسهروا هذه أللــيلة كأنوار في ألسماء, والتي بــدت خافــتة في لمعانها, لكنها مشرقة بفضائلها !...
من يشبه ذاك ألواحد الجلى الذي **يسهر ويصلي في ألخفاء,** تحيطه هالة من ألنور الخفى وسط ألظلمة الخارجية, أما ألشرير فكإبن للظلمة يسلك, إنه يقف في ضياء ألنهار, ومع أن ألنور يكسوه من الخارج, لكن ألظلمة تكتنفه من الداخل !.....
أيها الأحباء, ليتنا لا ننخدع بأننا ساهرون, لأن من **لا يسهر بالبر**, فسهره لا يحسب له !...
من لا يسهر بالفرح, فسهره يعد نوما !
من لا يسهر بطهارة, فسهره يكون عدوا له !
هذا هو سهر ألحاسد, أنه عرمة صلبة, كلها أذى !....
هذا هو سهر ألغضوب, انه يتعكر بالغضب, وتصير يقظته كلها هياجا, ولعنة....

هذا هو سهر ألثرثار, به يصير فمه ممرا مهيئا للإثم, وعائقا له عن ألصلوات...
أما الساهر ألحكيم, فله أن يخـــتار بيـــن أمرين: إما ينـــام نوما هادئا معــقولا, أو يسهر سهرا مقدسا....
كيف نستقبل ليلة ألميلاد؟.....
أللليلة, ليلة طاهرة, إذ جاء كلى ألطهارة لكي يجعلنا طاهرين.
فلننزع إذا من سهرنا كل ما يفسد نقائها: لتحفظ الأذن نقية, والعين طاهرة, وتأملات ألقلب مقدسة, وكلام ألفم مملحا !....
أليوم خبأت مريم ألعذراء فينا ألخميرة ألتي أخذتها عن إبراهيم, فلنشفق نحن أيضا على ألمتسولين مثل إبراهيم...
أليوم نزلت علينا نغمات من بيت داود الوديع, فلنصنع نحن أيضا رحمة مع ألمضايقين لنا كما صنع إبن يسى مع شاول (1صموئيل 26) !....
أليوم طرح ملح ألنبي الجيد وسط الأمم (2ملوك 20:2), فليتنا نقتني نحن جديدا بهذا الذي فقد القدماء خلاصهم.....
لننطق بكلام الحكمة ولا نتفوه بشئ غريب عنه, لئلا نصير نحن غرباء عن ألحكمة..
في ليلة ألمصالحة هذه, ليصرف كل إنسان عنه ألغضب والحزن...
في هذه الليلة التي فيها هدأ روع ألجميع, ليته لا يكون فيها من يهدد أو يضايق !.....
في ليلة الإله ألواحد ألحلو, ليته لا يكون فيها مرارة أو قسوة.
في ليلة الإله ألوديع, لا يكون فيها متشامخ أو متعال.
في يوم الغفران, لا نريد فيه الأخطاء.
في يوم ألفرح, لا ننشر فيه أحزان.
في يوم ألعذوبة, لا نكون قساة.
في يوم ألراحة والسلام, لا نكون فيه غضوبين.
في أليوم الذي نزل فيه الله إلى ألخطاة, لا ينتفخ الأبرار على ألخطاة.
في أليوم الذي نزل فيه سيد كل أحد إلى ألعبيد, لينزل السادة بلطف إلى عبيدهم.
في أليوم الذي صار فيه الإله الغني فقيرا من أجلنا, فليشرك الأغنياء ألفقراء في موائدهم.
في أليوم الذي وهبنا فيه عطايا لم نطلبها, فلنقدم صدقة لمن يصرخون متوسلين إلينا إحسانا !
في اليوم الذي فيه مهد لصلواتنا طريق في الأعالي, لنفتح أبوابنا نحن أمام الذين أساءوا إلينا وطلبوت منا ألعفو.
أليوم أخذ إله ألطبيعة غير ألتي له, ليته لا يكون صعبا علينا أن نغير إرادتنا ألشريرة !.....
أليوم ختم الطبع البشري باللاهوت, حتى يزين بنو ألبشر بطبع اللاهوت ❖❖❖❖❖

ألشماس يوسف نورو